

التقنيات البلاغية في أدعية الإمام الهادي (ع)

المقدمة:

لقد اهتمَّ أهل البيت (عليهم السلام) بما ينتجونه من كلام فني رفيع يختلف عن الكلام العادي من جهة تأليفه بطريقة مؤثرة، فهو قد اشتمل على خصائص انفرد بها، وقد اشارت اليها اغلب البحوث التي تناولت احاديثهم بالدراسة والتحليل، ومنها قصر العبارة، وشدة الوقع، مع وقوع السجع فيه لماما بغير كلفة، فضلا عن اتضاح الأثر القرآني، شاهداً ومضموناً .

ولم يقتصر الأمر على ذلك، إنما يلاحظ المطلع على كلام أهل البيت (عليهم السلام) بعامة والإمام الهادي (عليه السلام) بخاصة، وجود صور بلاغية بعضها يعود الى توظيف فن البيان بأنماطه المختلفة ، أذكر منها فن الاستعارة والكناية والمجاز بأنواعه، وبعضها الآخر يعود الى توظيف أساليب علم المعاني التي تعارف عليها علماء البلاغة العربية، مثل أسلوب التقديم والتأخير والجمل الخبرية والجمل الانشائية، وتعدى الأمر الى توظيف بعض أساليب البديع كالجناس بأنواعه المختلفة، وفيما يخص عينة الدراسة فقد ضمت أدعية الإمام (عليه السلام) والتي قام المحقق الكبير (جواد قيومي اصفهاني) بجمعها وتحقيقها في كتاب خاص سماه (صحيفة الإمام الهادي)، أما ما يخص الدراسات السابقة ففي حدود علمي لم اجد دراسة خاصة درست أدعية الإمام دراسةً بلاغيةً.

أ.م.د. حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

أما عن منهج الدراسة فقد اتبعت المنهج الفني القائم على دراسة الظاهرة من مختلف الجوانب الفنية من خلال دراسة نماذج وعينات من كلامه الشريف حتى يتبين موطن الاجادة والتأثير فيها، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد وثلاثة مباحث .

درس التمهيد منزلة الدعاء عند اهل البيت (سلام الله عليهم)، وتناول المبحث الاول أساليب علم المعاني في دعاء الامام الهادي (عليه السلام)، ودرس المبحث الثاني أساليب البيان في دعاء الامام الهادي (عليه السلام)، أما المبحث الثالث فقد تناول أساليب البديع في دعاء الامام (عليه السلام)، وجاءت الخاتمة لتلخص أهم ما توصل إليه البحث.

التمهيد : منزلة الدعاء عند اهل البيت (عليهم السلام):

الدعاء حاجة فطرية عند الإنسان، ومن الطبيعي أن يتعرض الإنسان خلال حياته

الاجتماعية المعقدة إلى مشكلات يصعب عليه حلها أحياناً ، ويتعرض أحياناً أخرى إلى حالات حرجة يشعر بأنه هالك لا محالة ، فنراه يلجأ الى قوة غيبية ويتوسل بها لاعتقاده أنها قادرة على إنقاذه .

وقد يلجأ إليها حتى الذين لا يؤمنون بها، فقال الله عز وجل: (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(١).

أما المؤمن، فالدعاء يشكل أساساً متيناً لشخصيته ، لأنه يؤمن بالله تعالى القادر على كل شيء، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو شعيرة إسلامية يتعبد بها الفرد المسلم ويقرب بها الى الله الكريم الذي لم يجعل بينه وبين عبادته ما يحجبهم عنه، فقد جعل أبوابه مشرعة لدعاء الداعين، وقال (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)^(٢).

لقد دأب اهل البيت على استعمال الدعاء في حياتهم اليومية، ونقلت لنا كتب التاريخ والفقه

ولهذا كله أوجد لنا أهل البيت شروطاً وضوابط خاصة بالدعاء وقد تناول أغلب الباحثين هذه الشروط بالدراسة، ولعل أهمها :

الحضور القلبي: والمراد به التوجه إلى الله تعالى بكل كيانه فلا يشغل فكرنا سواه، ولا يلهينا عنه شيء من حطام الدنيا، روي عن أبي عبد الله (عليه السلام): "إن الله عز وجل لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن بالإجابة"^(٤).

ترقيق القلب: وينبغي عند الدعاء استشعار رقة القلب وحالة الخشية، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اغتموا الدعاء عند الرقة، فإنها رحمة"^(٥).

البكاء والتضرع: إذ للبكاء ثواب جزيل عند الله تعالى. وفي الرواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): "ما من عينٍ إلّا وهي باكية يوم القيامة إلّا عيناً بكت من خوف الله، وما اغرورقت عينٌ بمائها من خشية الله عز وجل، إلّا حرم الله عز وجل سائر جسده على النار، ولا فاضت على خده فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلّا وله كيلٌ ووزنٌ إلا الدمعة، فإن

عدداً كبيراً من أدعيتهم (سلام الله عليهم)، وقد اشتملت هذه الادعية على وصف عظمة الله عز وجل، وتجلي تلك العظمة في خلق الإنسان و السموات و الأرض و سائر المخلوقات الأخرى، التي بذكرها في مضامين الدعاء يزيد الداعي خشوعاً لرب العالمين، و إيماناً بقدرته ، فيزداد تبعاً لذلك إيمانه بأن الله لا يبخل على عباده ، وهو المتفضل عليهم الذي يسبقهم بالنعيم والإحسان ويبادرهم بالشكر والعرفان، وهو المتجاوز عن خطاياهم و معاصيهم إذا قبلوا عليه بقلوب صافية و منية ونفوس طامعة في كرمه.

إن الأذكار والأدعية، كما تعد وسيلة ناجعة لنيل المطالب وقضاء الحاجات، كذلك هي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وسيلة رائعة لصناعة شخصية الإنسان وصياغتها^(٦)، لأنها تختزل جملة العقائد الحقة الخالية من الأخطاء الفكرية والروحية. لذا كان اختيارهم (عليهم السلام)، مدروساً باتخاذ الدعاء وسيلة لصناعة الإنسان وتكريس الإيمان والتقوى في ذاته، بل الهدف هو بناء الإنسان وليكون - الدعاء - منطلقاً نحو الكمال وليتحقق التناغم الرائع بين الوسيلة والهدف، فيعتصم الإنسان برحمة الله من غضب الله.

الله عزَّ وجلَّ يُطْفِئُ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا الْبَحَارَ مِنَ
النَّارِ، فَلَوْ أَنَّ عَبْدًا بَكَى فِي أُمَّةٍ لَرَحِمَ اللهُ عزَّ
وجلَّ تِلْكَ الْأُمَّةَ بَيْكَاءِ ذَلِكَ الْعَبْدِ^(٦).

الإلحاح في المسألة: فلا يتعجل المؤمن قبول الدعاء
وسرعة الإجابة، فقد يؤخر الله تعالى الإجابة لحكمة لا
يعلمها، فإنَّ الله تعالى يحبُّ الإلحاح من العبد في
الطلب منه وسماع طلبه وتضرعه، ففي الرواية عن
أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إِنَّ الله عزَّ وجلَّ كره
إلحاح الناس بعضهم على بعضٍ في المسألة وأحبَّ
ذلك لنفسه، إِنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ أن يُسألَ ويُطلب ما
عنده"^(٧).

إنَّ للدعاء صياغته الجمالية المتميزة، تلتقي في
جوانب كثيرة منها مع بلاغة الأنواع المعروفة،
وتستجيب لمعايير البلاغة التقليدية؛ بلاغة
الأبواب والمفاهيم المجردة، من قبيل اعتماد
الخيال، وتوظيف اللغة المؤثرة، فضلاً عن وسائل
التحسين، وتنويع المعاني والموضوعات، وهو
قول لصيق بالروح، منصب على توصيف
المشاعر والأحاسيس، ملتفت إلى الداخل، عامل
على إظهار النفس في صورتها الكائنة والممكنة،

و"حقيقته إظهار الافتقار إلى الله"^(٨). وقد رأى
الباحث عبد الفضيل في كتابه الخطاب الدعائي
((أَنَّ الوقوف على مركزية الذات في الدعاء،
بوصفها ركناً أساساً في العملية الإبداعية، الشيء
الذي يفتح آفاق تحليل هذا الخطاب على جهة
المرسل الذي يتشكل من خلال سمات إبداعه،
ويصبح النص حاملاً جملةً من سمات الشعريَّة
والتعبير الذاتي الجميل))^(٩).

المبحث الاول:

أساليب المعاني في أدعية الامام الهادي (عليه
السلام)

أولاً : أساليب الخبر والانشاء :

الخبر لغة: فهو مشتق من الخبر، وهي الأرض
الرخوة ؛ لأن الخبر يثير الغبار، كما أن الأرض
الخبار تثير الغبار، إذا قرعها الحافر ونحوه وهو
نوع مخصوص من القول، وقسم من الكلام
اللساني، وقد يستعمل في غير القول، كقول
الشاعر :

تخبرك العينان ما القلب كاتم^(١٠)

اما الخبر اصطلاحاً : (هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته)^(١١).

أي بقطع النظر عن خصوص المخبر، او خصوص الخبر ، وانما ينظر في احتمال الصدق والكذب الى الكلام نفسه لا الى قائله ؛ أي ان صدق الخبر هو مطابقة حكمه للواقع وكذبه هو عدم مطابقة حكمه له .

ومن أمثلته قوله (عليه السلام) :

" اشهد والشهادة لي رفعة وعدة ، وهي مني سمع وطاعة "^(١٢). فالخبر (اشهد والشهادة لي رفعة) خبر طلبي لان الامام اورد الخبر وهو يحوي على مؤكد واحد ، ومعنى هذا ان الخبر جاء لإزالة الشك عن ذهن المتلقي كونه شاكاً او متردداً في منزلة الشهادة ومقامها عند الامام (سلام الله عليه).

ومن الجمل الخبرية التي ورد ذكرها في ادعية الامام (عليه السلام) قوله :

" ذلّت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الأسباب وجرى بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك

الأشياء فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة وإرادتك دون وحيك منزجرة وأنت المرجو للمهمات وأنت المفزع للملمات لا يندفع منها إلا ما دفعت ولا ينكشف منها إلا ما كشفت، وقد نزلت بي من الأمر ما فدحني ثقله وحلّ بي منه ما بهضني حمله وبقدرتك أوردت عليّ ذلك وبسلطانك وجهته إليّ "^(١٣)

ومن الملاحظ ان الامام بإيراد لمختلف انواع الخبر في هذه الجمل انما يريد ان يرفع الشك والتردد وربما حتى الانكار من ذهن بعض المترددين او الشاكين في قدرة الله سبحانه وتعالى وانه هو مسبب الاسباب وهو القادر على كل شيء، وهو من المرجو للمهمات والمفزع للملمات .

و(الانشاء) لغة: هو الإيجاد او الابداء، وانشأ الله الخلق اي ابتدأ خلقهم^(١٤).

وفي الاصطلاح: ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، وهو قسمان : طلبي وهو ما استدعى شيئاً غير حاصل عند النطق او كما يقول السكاكي " ما يستدعي في مطلوبه امكان الحصول "^(١٥) وينحصر في مباحث خمسة (الأمر والنهي

" اللهم أكف العذاب عن المستجيرين وأصبه على المغترّين ، اللهم بادر عصابة الحق بالعون وبادر اعوان الظلم بالقصم " (١٦).

فالأمر هنا في نص الامام يخرج عن معناه الحقيقي الى معنى مجازي هو الدعاء ، اي ان الامام يتضرّع الى ربه أن يكف العذاب عن المستجيرين ومعنى استجار بفلان: استغاث به، والتجأ إليه .

و استجار فلاناً : سأله أن يؤمّنه ويحفظه واجاره الله من العذاب اي انقذه ، والاغترار هو الغفلة او الافتتان ، اما القصم فهو كسر الشيء الشديد حتى يبين ومنه يقال للظالم : قصم الله ظهره (١٧). وفي التنزيل العزيز: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) (١٨) .

٢- أسلوب النداء :

وهو طلب اقبال المخاطب باستعمال اداة خاصة ومن اشهر ادواته : (الهمزة) وتستعمل لنداء القريب وما ينزل منزلته و(يا) وهي اكثر الادوات استعمالا ويكثر ورودها في نداء اسم

والاستفهام والتمني والنداء) وغير طلبي وهو ما لا يستدعي امراً حاصلاً عند الطلب كالتعجب والمدح والذم والقسم وصيغ العقود ، فإنك إذا قلت: (اللهم ارحمني) لا يصح أن يقال لك: صادق أو كاذب، نعم يصح ذلك بالنسبة الى الخبر الضمني المستفاد من الكلام، وهو انك طالب للمغفرة.

ومن أهم أساليب الطلب التي ورد استعمالها في ادعية الامام الهادي (عليه السلام) :

١- أسلوب الأمر :

وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على سبيل الاستعلاء، وهذا ما يتعلق بالأمر الحقيقي الصادر من الاعلى الى الادنى كان يصدر الامر من الخالق الى المخلوق الا ان الامر قد يخرج الى اغراض مجازية ومنها غرض الدعاء عندما يصدر الامر من الادنى الى الاعلى دون الزام او استعلاء وهنا يخرج الامر عن مؤداه الاصلي الى معنى مجازي وهو الدعاء، نحو قول الامام (عليه السلام) :

الجلالة (يا الله).

مأنوسة الاستعمال ، وقد استطاع الامام ان يوظف اسلوب السجع لخدمة النص لان هذا السجع يوفر ايقاعا جميلا تأنس الاذن لسماعه فإن الإيقاع يحدث بالإفادة من جرس الألفاظ وتناغم العبارات لإحداث التوافق الصوتي بين مجموعة من الحركات والسكنات لتأدية وظيفة سمعية والتأثير في المستمع . ويأتي الإيقاع من اختيار الكلمات من حيث كونها تعبر عن قيمة التأثير الذي تحدثه وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي ، فهو إحداث استجابة ذوقية تمتع الحواس وتثير الانفعالات .

٣- أسلوب النهي :

أسلوب النهي ضرب من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الإلزام و الاستعلاء ويأتي بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية ^(٢١)، وقد يخرج عن معناه الحقيقي الى دلالات مجازية كثيرة تفهم من سياق الكلام منها التوبيخ والتحقير والتمني والنصح والاستعطاف والدعاء والإرشاد نحو قول الامام الهادي (عليه السلام) :

وتتميز جملة النداء باشتمالها على جملة طلبية غير النداء، لأن النداء قد يأتي به المتكلم لأمر يتعلق بالجملة الطلبية التي اشتملت عليها جملة النداء^(١٩)، وفي الغالب تكون الجملة الطلبية أمراً أو نهياً، وربما تكون نداء أو تمنياً، ويتضح من هذا أن النداء وإن كان طلباً إلا أنه ليس هو غاية الطلب في الخطاب العربي ، وهذا ما يدعو لتأمل الغرض المستلزم لاجتلاب النداء . وهو أسلوب طلبية . لخدمة أسلوب طلبية آخر.

قوله (عليه السلام) :

" يا كبير كل كبير ، يامن لا شريك له ولا وزير ، يا خالق الشمس والقمر المنير ، يا عصمة الخائف المستجير ، يا مطلق المكبل الاسير، يا رازق الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا راحم الشيخ الكبير، يا نور النور، يا مدبر الامور، يا باعث من في القبور يا شافي الصدور" ^(٢٠).

وتتجلى جمالية الدعاء هنا في طريقة الصياغة التي جمعت بين المعنى الجميل معززا بألفاظ

" يا ثقتي ورجائي لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي لك " (٢٢).

ومن خلال تدقيق النظر نلاحظ ان الامام (عليه السلام) يوظف اسلوب النداء و النهي المجازي في هذا المقطع خدمةً للعقيدة، والنهي هنا قد يكون قُصد به الخبر لبيان فضيلة السجود ومقام الساجدين عند الله وقد استعمل اسلوب النهي لكونه اقوى في الدلالة على الغرض المقصود ، ومن المحتمل هنا ان يخرج النهي الى معنى الامتتان والاكرام، اي مَنْ عَلِيَّ بتحريم وجهي على النار وتكرّم عليّ بذلك بعد سجودي لك، فإنّ السجود وإن كان من اعظم الافعال التي تقربُ العبد من ربه وأحبها الى الله ولكنه لا يُعدُّ شيئاً في قبال فيض عطائه وسعة رحمته وتفضّله على عباده بالنعم ظاهرةً وباطنةً، ويحمل هذا النهي بين طياته صورة مؤثرة تحمل الكثير من الموعظة التي اراد الامام ان يوصلها الى المجتمع بصورة غير مباشرة مضمونها ان الانسان عليه ان يتجنب نار جهنم بالوسائل المنصوص عليها كالعمل الصالح والكف عن

المعاصي والورع عن محارم الله ومنها وسيلة الدعاء والخضوع والتذلل لله عز وجل .

٤ - التقديم والتأخير :

التقديم من (قَدَم) اي وضعه امام غيره والتأخير نقيض ذلك^(٢٣) يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله متحدثا عن فائدته: " هذا باب كثير الفوائد ، جم المحاسن، واسع التصرف ، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، و يفضي بك إلى لطيفة ، و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك و لطفُ عندك ، أن قدم فيه شيء و حول اللفظ من مكان إلى مكان " (٢٤)

وقال الزركشي عن التقديم والتأخير: " هو احد أساليب البلاغة، فإنهم اتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب احسن موقع واعذب مذاق " (٢٥)

اذا هو من الاساليب البلاغية التي عُرِفَتْ بها اللغة العربية وهو اسلوب يظهر من خلاله مدى جمالية اللغة وقدرتها على نقل المعنى بطرق

فأصل الكلام هو تقولهم الإفك على رسولك ، إلا أن تقديم الامام لشبه الجملة (على رسول) فيه دلالة على الاختصاص وهو ان النقول وقع على الرسول وهو ما يريد ان يلفت الاهتمام اليه ، وكلنا يعرف خطورة هذه المسألة التي تمس برمز الاسلام وناقل الرسالة السماوية الذي وصفه ربه بانه على خلق عظيم اذاً كيف يتجرأ نفر ضال ويقول عليه بالإفك .

وقوله (عليه السلام) :

" وأشهد أنك لم تنزل للهوى مخالفا وللتقى مخالفا وعلى كظم الغيظ قادرا وعن الناس عافيا " (٢٩).
فأصل الكلام هو (مخالفا للهوى ومخالفا للتقى و قادرا على كظم الغيظ وعافيا عن الناس) فالإمام هنا قدم شبه الجملة (لهوى) على عامله اسم الفاعل وهو خبر (تنزل) وفصل بها بين (لم تنزل واسمها المقدر) وبين خبرها (مخالفا) ومثلها (للتقى) و (على كظم الغيظ) وربما يكون السبب وراء ذلك هو الاهتمام والتأكيد على الهوى وضرورة مخالفته في الجملة الاولى وانصب التأكيد في الجملة الثانية على التقى اما الجملة الثالثة فقد ركزت على كظم الغيظ وهي صفة اكد

مختلفة بحسب الاهمية التي يقصدها منشئ الكلام : "مخالفة عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق ، فيتقدم ما الأصل فيه أن يتأخر ويتأخر ما الأصل فيه أن يتقدم " (٢٦)

ومن الامثلة التي تؤيد استعمال الامام (عليه السلام) لهذا الاسلوب في دعائه قوله:

" بك اعتصمت وتعوذت من نفثات العنّدة " (٢٧).
إن تقديم متعلق الفعل (بك) على عامله (اعتصمت) يفيد قصر العامل عليه وصرفه عما سواه فالاعتصام يكون بالله سبحانه وتعالى لا بغيره من سائر المخلوقات التي لا تستطيع أن تقف بوجه ارادة الله عز وجل لهذا قصر الاعتصام على الله وهو ما دلّ عليه كلام الامام (عليه السلام) ولو اننا غيرنا مواقع الكلمات وقلنا (اعتصمت بك) لاختلف المعنى حتما واصبح لدينا معنى اخر مغاير وهو (اعتصمت بك وبغيرك) وهذا مدعاة للكفر وهو بلاشك لا يرتقي الى اسلوب المعصوم (سلام الله عليه) .

وقوله (عليه السلام) : " واخرس الخراصين عن تقولهم على رسولك الافك " (٢٨)

عليها أئمه اهل البيت (سلام الله عليهم) وضربوا

لنا صوراً فريدة في هذا المجال .

(السلام) لهذا الأسلوب قوله :

" مناهل كراماتك بجزيل عطياتك مترعة، وابواب مناجاتك لمن أمك مشرعة، وعطوف لحظاتك لمن ضرع اليك غير منقطعة وقد ألجم الحذار واشتد الاضطرار، وعجز عن الاصطبار اهل الانتظار وانت اللهم بالمرصد من المكار " (٣٤)

نلاحظ هنا كيف ان الامام استطاع ان يصل بين هذه الجمل باستعمال الواو لغرض الربط بين الجمل وعطف بعضها على بعضها الاخر والسبب الذي يقف وراء هذا الوصل هو كون الجمل الخبرية يكمل بعضها بعض اي انها تشترك في خلق الصورة الكلية او التعبير عن الغرض المقصود وربما يكون هو التأكيد على حقيقة مفادها: أن الله عز وجل احق بالعبودية واصل للحمد والثناء واليه وحده الملاذ وبه الاستعانة لا بسواه إذ يفيض على عباده من سعة فضله وجزيل عطائه ويفصح عنهم ويقلل عثراتهم كما انه دائم النظر اليهم بالعطف والرحمة في حال اشتد فيها البلاء ونفذ الصبر وانقطع السبيل، والفصل والوصل وسيلة من وسائل إبراز الجمال

الفصل والوصل من المواضيع البلاغية المهمة وقد استشعر علماء البلاغة هذه الاهمية فقد ورد عن صاحب الايضاح قوله "هذا الفن من علم المعاني عظيم الخطر، صعب المسلك، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه، ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً..." (٣٠)، وقد عرف الفارسي البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل (٣١).

ولقد عرف الخطيب الوصل والفصل بقوله: "الوصل عطف الجمل على بعض، والفصل تركه" (٣٢).

ومن التعريفات الاخرى للوصل أنه خلاف الفصل، فالوصل عطف جملة على أخرى بالواو فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى. (٣٣)، ومن الامثلة التي ورد فيها استعمال الامام (عليه

شيء آخر بواحدٍ من طرقٍ مخصوصة من طرق
القول المفيد للقصر^(٣٧)

ومن امثلة استعمال الامام لهذا الفن في ادعيته
قوله (عليه السلام) :

" اللهم لا تنال طاعتك الا بتوفيقك ، ولا تنال
درجة من درجات الخير الا بك " (٣٨)

لقد استعمل الامام هنا اسلوب النفي والاستثناء
في قوله الشريف والغاية هي التأكيد من خلال
القصر على ان الطاعة لا تنال الا بالتوفيق
وكذلك في الجملة الثانية استعمل نفس الاسلوب
مبيناً عظمة الله عز وجل .

٦ - فن الإيجاز

الإيجاز لغة: اختصار الكلام وتقليل ألفاظه مع
بلاغته، يقال: أوجز الكلام إذا جعله قصيراً
ينتهي من نطقه بسرعة . وكلامٌ وجيز، أي: خفيفٌ
قصير. وأوجزَ في صلاته إذا خففها ولم يُطلْ
فيها^(٣٩).

اما في الاصطلاح فالإيجاز هو وضع المعاني
الكثيرة في ألفاظ أقل، مع وفائها بالغرض
المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها^(٤٠).

مع غيره من الأساليب، وله أدوات، إن فصلاً وإن
وصلاً، وطرق لأداء وظيفته، فقد يفصل الامام
(عليه السلام) بين معنيين أو يربط بينهما،
متخذاً الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى
فيعرضه جلياً لا شركة فيه ولا لبس ليكون خالصاً
بذاته .

ومن الدارسين من يرى ان الفصل والوصل
يراعي دائماً إثارة عقول المخاطبين بمختلف
درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها
وميولها، وكذا عواطفهم وأذواقهم^(٣٥).

٥- أسلوب القصر :

القصر: يأتي في اللغة بمعنى التخصيص،
يقال : قَصَرَ الشَّيْءَ عَلَى كَذَا، إِذَا خَصَّصَهُ بِهِ،
ولم يجاوز به إلى غيره. وقَصَرَ غَلَّةً بستانه على
عياله، إِذَا جَعَلَهَا خَاصَّةً لَهُمْ. وقَصَرَ الشَّيْءَ عَلَى
نفسه، إِذَا خَصَّ نَفْسَهُ بِهِ، فلم يجعل لغيره منه
شيئاً^(٣٦).

والقصر في اصطلاح علماء البلاغة:
تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلامية تدلُّ عليه،
ويقال في تعريفه أيضاً: جعلُ شيءٍ مقصوراً على

ومن صور الايجاز في قول الهادي (عليه السلام) :

" من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره " (٤١)

المتمعن في قول الامام هذا يستطيع القول انه من المعاني النادرة التي جادت بها قريحته ، وهذا يدل على مدى قدرته على ابتكار المعاني التي تجمع الكثير بألفاظ قليلة فضلا عن جدة وابتكار مثل هذا المعنى فلو اردنا ان نحلل هذا الكلام لاحتجنا الى كلام كثير والسبب يعود الى اكتناز النص ، فالحديث عن هوان النفس وما يلحق ذلك الهوان من تبعات كثيرة لاتعد ولا تحصى لخصها الامام بكلمة الشر ، والامام هنا يتحدث عن صنف من الناس هذا الصنف هو الذي اصيب بالهوان وايضا كلمة الهوان تشتمل على معاني كثيرة وهي خلاف العزة والكرامة .

والمثال الآخر قوله (عليه السلام) :

"الدنيا سوق ربح بها قوم وخسر آخرون "

(٤٢).

لقد لخص هذا القول الشريف حال الدنيا بأسرها

فالربح والخسارة وارد في هذه الحياة، والحديث عن العمل الصالح وهو الربح والعمل السيئ وهو الخسارة التي ما بعدها خسارة .

فضلا عن هذا يلاحظ المتمعن في نص الامام (عليه السلام) على مدى ثراء هذا النص من حيث الاستعمال الدقيق للمفردة (قوم) وهي نكرة وربما اراد ان يشير من وراء التكرير الى تفاهة الدنيا وانها ليست الغاية انما الغاية هي دار الآخرة، كذلك ولد استعمال التضاد بين (ربح) و(خسر) صورة جميلة من خلال خلق تلك الموازنة بين الربح والخسارة الخاصة بالدنيا التي تشبه السوق، يعزز كل ذلك استعمال اسلوب التقديم في تقديم متعلق الفعل الجار والمجرور (بها) على فاعله (قوم) فالربح في الدنيا وهو ربح زائل.

وهذا يثبت ان كلام الامام كان موجها الى حث المجتمع على طلب الخير «ومن هنا الاعتقاد الراسخ بأن النص الإبداعي ينطوي على وظيفة إبلاغية، ولعلنا لا نبالغ في القول إن هذه الإبلاغية وحدها تستطيع أن تنشئ جسراً بين

نلاحظ في قول الامام الذي لا حَذَفَ فيه، إنما فيه حُسْنُ انتقاء الكلمات، مع إتقان الصياغة، فهي على قِصرِها وقَلَّةِ ألفاظها تَدُلُّ على معنى كثيرٍ جداً.

(الناس في الدنيا في الاموال وفي الآخرة بالأعمال) (٤٧).

لقد كان للغة التي استعملها الامام دور مهم في التأثير اذ «إنَّ ماهية اللغة تبلغ تحققها التام في اللغة الشعرية، حيث تكمن هنا قدرة الكلمة على التعبير وعلى إبداع معانٍ جديدة» (٤٨).

المبحث الثاني :

الاساليب البيانية في أدعية الامام الهادي (عليه السلام) :

الصور البيانية في ادعية الامام الهادي (عليه السلام) لون من ألوان الابداع جاءت على اكمل وابهى ما تكون البلاغة والمنتبع للصور البيانية في هذه الادعية يعرف ما فطر عليه المعصوم (سلام الله عليه) من معرفة عناصر التأثير في البيان واوجه الجمال، وقد حاول

المبدع والمتلقي. ولأجل ذلك فقد نَقَبَ البلاغيون وحفروا عميقاً بحثاً عمّا عساه أن يكون أساساً في هذه الإبلاغية " (٤٣).

ومنه قول الامام (عليه السلام) :

"ما استراح ذو الحرص " (٤٤).

نلاحظ ايجاز القصر في قول الامام اي ان العبارات ألفاظها قليلة، ومعانيها غزيرة، دون أن يكون فيها ما يدلُّ على كلام مطويٍّ محذوف من اللَّفْظ، مُشارٍ إليه بقرينة من قرائن المقال، أو قرائن الحال، أو الاقتضاء العقلي ، فقول الامام (عليه السلام) يحمل معنىً تربوياً كبيراً ونصيحة لمن كان الحرص ديدنه فهو يريد القول : ان من كانت هذه صفته فانه لن يستراح في حياته ويبقى طوال عمره مشغولاً بالدنيا واعراضها الزائلة وهي دعوة صريحة من الامام الى التفكير بزوال الدنيا وفنائها وان الحياة الباقية هي الآخرة .

وقوله (عليه السلام) : "المصيبة للصابر واحد وللجازع اثنتان " (٤٥)

وقوله (عليه السلام) :

"البخل اذم الاخلاق والطمع سجية سيئة " (٤٦)

الباحث تتبع بعض هذه الظواهر في ادعية الامام ومنها .

اولا : الاستعارة :

الاستعارة لغةً من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه^(٤٩).

اما الاستعارة في الاصطلاح فهي اللفظ المستعمل في غير دلالاته التي وضعت له لعلاقة بين الدلالة الوضعية والدلالة المجازية ، قال عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في تعريفها " الاستعارة ان يكون اللفظ اصل في الوضع اللغوي ثم يستعمل في غير ذلك الاصل "^(٥٠).

وتنقسم الاستعارة على قسمين من حيث وجود المشبّه او المشبّه به، وهما الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية ، يقول عبد القاهر في الاستعارة التصريحية " الاستعارة ان تُعيرَ المشبّه لفظ المشبّه به "^(٥١)، اما الاستعارة المكنية فعرفها عبد القاهر بانها " نقل الاسم عن حقيقته ووضعه موضعا لا يبين فيه شيء يشار اليه فيقال هذا

هو المراد بالاسم والذي استعير له وجعل نائباً منابه "^(٥٢) وقد ورد هذان النمطان في تعريف الرازي للاستعارة في قوله : " هي جعل الشيء الشيء او جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه "^(٥٣)

وقد وردت هذه الحالات في قوله (عليه السلام) :

" يا من تُحلُّ بأسمائه عُقدُ المكاره ، ويا من يُفلُّ بذكره حدُّ الشدائد "^(٥٤)

فالاستعارة في قوله : (عقد المكاره) و (حدُّ الشدائد) استعارة مكنية تخيلية ، فالإمام هنا يستثمر إمكانات اللغة وطاقاتها من خلال ايجاد علاقات جديدة بين الالفاظ فالمكاره اصبحت عنده كالحبل المعقود ، وذكر الله عزّ وجلّ هو الذي يحل عقد المكاره والشدائد كالسيف الصارم وذكره سبحانه وتعالى هو الذي يتلّم حدّ الشدائد وذلك انه اراد تشبيه الشدائد بالسيف القاطع، لقوة تأثيرها في النفس ، فحذف المشبّه به وهو السيف، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الفلول التي تصيب حدّ

الليل إنما هو ألبس كل شيء وليس هو من
الظلمة قال ومنه قولهم دجا الإسلام أي قوي
وألبس كل شيء^(٥٧)

فالاستعارة هنا تصريحية وذلك انه استعار الدجى
، وهو سواد الليل وعتمته ، للجهل والضلال في
قبال استعارة ضوء المصباح لنور العلم والهداية ،
فالجعل والضلال يجعلان الانسان متخبطاً لا
يبصر طريق الحق ولا يهتدي اليه كما لا يبصر
السائر في الليل المظلم طريقه ولا يهتدي الى
غايته ، ولما كان ضوء المصباح يُبدد ظلام الليل
الدامس فكذلك علم الائمة (عليهم السلام) يخرج
الجهل عن القلوب فيميز الانسان به طريق الحق
، فينبهه ، من الباطل فيجتنبه، فالأئمة (سلام الله
عليهم أجمعين) هم الذين يحولون الظلمة الى نور
بفضل علمهم وحلمهم وقيادتهم الصحيحة المسددة
بتوفيق من الله جلّ شأنه.

ومنه ايضا قوله (عليه السلام) :

" وانزع عنه سريال عزك الذي لم يجازه بالإحسان
واقصمه يا قاصم الجبابرة ، واهلكه يا مهلك
القرون الخالية ... وابتز عمره ، وابتز ملكه ،
واقطع خبره ، واطفى ناره ، واطلم نهاره ، واهشم

السيف، واراد زوال الشدة او خفة وطئها على
النفس بذكر الله والتضرع اليه، وفيه اشارة الى
قوله تعالى " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ^(٥٥)،
فأسماءه سبحانه تدفع المكاره وذكره وتسيحه
يودعان الطمأنينة في القلب فينبو عنه حد
المصيبة (أثرها) كما ينبو السيف المفلل فلا يقطع
عند الضرب. اي انه استعار العقد من الحبل
واطلقها على المكاره وهي شيء معنوي فهو
استعار الحسي للمعنوي من باب الاستعارة
المكنية لأنه حذف فيها المشبه به، أو المستعار
منه، حتى عاد مختفياً إلا أنه مرموز له بذكر
شيء من لوازمه دليلاً عليه بعد حذفه وهي العقدة
التي تكون للحبل .

ومن الاستعمالات الاخرى التي وردت في كلام
المعصوم (عليه السلام) :

" السلام على ائمة الهدى ومصابيح الدجى
واعلام التقى وذوى النهى ... والدعوة الحسنى
" ^(٥٦)

فالدجى هي الظلمة وقد دجا الليل من باب سما
وليلة داجية وكذا أدجى الليل و تدجى و دياجي
الليل حنادسه كأنه جمع ديجاة قال الأصمعي دجا

شَدَّتْهُ ، وَجُبَّ سَنَامُهُ ، وَارْغَمُ أَنْفُهُ ، وَعَجَلَ حَقْفُهُ
"(٥٨).

فالسريال هو كل ما يلبس من قميص أو درع
إلا أن الإمام استعار السريال للعز وأنه خير ما
يلبسه الخالق للمخلوق فعلى المخلوق أن يحتفظ
بهذا اللباس ، وقوله (أطفئ ناره) استعارة تمثيلية ،
إذ مثل حال إذلال المُتَجَبَّرِ وَخُذْلَانِهِ وتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِ
وَبَثِّ الرعب في قلبه من بعد عزّه وسطوته
واجتماع كلمته بحال نارٍ مُلْتَهَبَةٍ أُخْمِدَتْ وَذَوَتْ
وعفا أثرها ،

ومن الامثلة الاخرى قوله (عليه السلام) : " فلما
أسفر الحق وسفه المنكر " (٥٩)

قوله (أسفر الحق) استعارة مكنية إذ شبه الحق
بالصبح في ظهوره وإشراقه فحذف المشبه وجاء
بلازمة وهو السفور ، وكذلك (سفه المنكر) استعارة
مكنية إذ شبه المنكر في تخبطه بإنسان
مضطرب العقل لا يُحَسِّنُ التَصَرُّفَ في الامور
فحذف المشبه وأبقى لازمه وهو السفه ، ومن
الممكن القول انها استعارة تصريحية تبعية إذ

استعار السفه للتخبط والافتضاح (أو للفشل) ثم
اشتق منه الفعل (سفه) ، أما من حيث التركيب
فهو مجاز عقلي وعلاقته السببية ، إذ اسند الفعل
الى (الحق) و(المنكر) والفاعل الحقيقي هو الله
عز وجل .

ثانيا : المجاز:

المجاز في اللغة هو التجاوز والتعدي^(٦٠).
وفي الاصطلاح عرفه عبد القاهر في قوله: " كل
كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع
واضعها لملاحظة بين الثاني والأول"^(٦١)، وتابعه
الرازي في نهاية الايجاز^(٦٢) والسكاكي في مفتاح
العلوم^(٦٣)، وعرفه العلوي في الطراز بأنه: " ما أفاد
معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع
فيه التخاطب لعلاقة بين الاول والثاني " (٦٤).

ومن أمثله قوله (عليه السلام):

" فيأمن بيده نواصي العباد اجمعين " (٦٥)

يلاحظ في هذا النص أن معنى القدرة متحصل
من طريق التأويل والتخييل ، أي أن مثل تصرفه
سبحانه في خلقه وقدرته عليهم مثل الشيء يكون

النوائع: الموائل، من قولهم نائع، أي متمایل ضعفاً^(٧٠).

أي أن معنى السجع هو كل شيء استقام على نهج واحد متشابه وكما ذهب الى ذلك ايضا الزمخشري : (فلان ساجع في سيره : مستقيم لا يميل عن القصد)^(٧١)

اما السجع اصطلاحاً : فهو توافق الفاصلتين- من النثر على حرف واحد.

والأصل في السجع الاعتدال في- مقاطع الكلام، وينبغي أن تكون الألفاظ حلوة حادة ، لا غثة ولا باردة.. فإذا صفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرودة، فإن وراء ذلك مطلباً آخر، وهو أن يكون اللفظ تابعا للمعنى، فإذا توافرت هذه الأمور فإن وراءها مطلباً آخر، وهو أن تكون كل واحدة. من الفقرتين أو السجعتين المزدوجتين دالة على معنى غير المعنى" الذي اشتملت عليه الأخرى^(٧٢). يقول السكاكي : " السجع في النثر كالقافية في الشعر "^(٧٣).

واما في دعاء الامام فكقوله (عليه السلام) :

في يد الآخذ له ، قال عبد القاهر الجرجاني في تأويل قوله تعالى: " والارض جميعا قبضته": إن مثل الارض في تصرفها تحت امر الله وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له "^(٦٦)، وذكر الزمخشري أن هذا تصوير لعظمة الله من طريق التخييل^(٦٧)، كما تأول قوله تعالى: " ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها"^(٦٨) بأنه على التمثيل أي كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهر سلطانه^(٦٩).

المبحث الثالث :

أساليب البديع في دعاء الامام الهادي (عليه السلام) :

أولاً : السجع:

السجع لغة هو موالاة الكلام على وزن واحد، قال ابن دريد: سجعت الحمامة معناها رددت صوتها. وأنشد:

طربت فأبكتك الحمام السواجُ

تميل بها ضحواً غصون نوائعُ

"إلهي تاهت اوهام المتوهمين، وقصر طرف
الطارفين ،وتلاشت اوصاف الواصفين
،واضمحلت اقاويل المبطلين ،عن الدرك لعجيب
شانك " (٧٤).

نلاحظ كيف ان الامام استطاع ان يأتي بهذه
الجميل المتوازية والمتساوقة دلاليا من حيث
مكونات الجملة الواحدة ، فانت عندما تقرا هذا
النص تشعر بان المعنى هو الذي تطلب ايراد
السجع دون وجود اي تكلف او قصر للمفردات
انما كانت هذه المفردات تأخذ موضعها الصحيح
في نص الامام وهذا يدل على موهبة وقدرة على
تأليف الكلام بطريقة فنية ، لقد اضى السجع
جمالا على النص ووفر نوعا من الايقاع
الموسيقى الذي حبيب الكلام الى النفس وسهل من
عملية حفظه ورسوخه في الذهن، فضلا عن هذا
هناك مسألة مهمة تتعلق بتحسين اللفظ في هذه
العبارات تتمثل في الجناس الجميل في قوله
(اوهام المتوهمين) و(طرف الطارفين) و(اوصاف
الواصفين)، وهناك تقنية جميلة وظفها الامام في
نصه تتمثل بخلق عنصر الدهشة للقارئ في

عبارته (اقاويل المبطلين) خاصة وان القارئ كان
يتوقع مثلا ان يقول الامام (اباطيل المبطلين)
على غرار ما جاء في الجمل السابقة الا أن
الاستعمال قد تغير وتحول بهذه العبارة الى ما
يسمى بعنصر الصدمة ليشحذ ذهن القارئ من
جديد .

ومنه ايضا قوله (عليه السلام) :

"سبحان من هو دائم لا يسهو ، سبحان
من هو قائم لا يلهو"(٧٥).

نلاحظ ان السجع الوارد في نص الامام (عليه
السلام) هو من السجع المتوازي وهو اقوى
انواعالسجع فقد حقق نوعا من الايقاع الصوتي
الجميل في قوله (دائم لا يسهو) وقوله (قائم لا
يلهو) ولا شك في «إنّ موسيقى الألفاظ تشكل
جانباً كبيراً من التأثير في قضية التلقي، فلها
الفضل في تهيئة الأذهان واستقطابها، وتفاعلها
بعد ذلك مع ما يطرح إليها من موضوعات،
فالنفس الإنسانية بفطرتها تميل إلى الإيقاع
الصوتي المنتظم، وتأنس إليه، وتقبل عليه، وهذا

عين ما تريده التعبيرات الفنية من المتلقي: الإقبال
ثم التأثير»^(٧٦).

ونحو قوله (عليه السلام): "مناهل كراماتك بجزيل
عطياتك مترعة، وابواب مناجاتك لمن أمك
مشرعة، وعطوف لحظاتك لمن ضرع اليك غير
منقطعة ، وقد الجم الحذار واشتد الاضطراب
وعجز عن الاضطراب اهل الانتظار ، وانت اللهم
بالمرصد من المكار" ^(٧٧).

نلاحظ ان موضع السجع في (مترعة- مشرعة-
منقطعة) كذلك في قوله (الاضطرار- الانتظار-
المكار) زيادة على توافق الفقرات صوتيا بين
اجزائها، فالسجع هنا يحقق على حد قول بعض
الباحثين تشكيلاً إيقاعياً يفاجئنا، تهشُّ له الأسماع
وتستطيعه، وهو لم يطمس المعاني بقدر ما
أحيّاها إلينا، وأحدث جسراً بيننا وبينها، وسهّل
حفظنا لها، وهذه المفاجأة الجاذبة للمتلقي بسبب
التمظهرات الصوتية المتألّفة في مجموعات
متساوية ومتشابهة تعينه كثيراً على تقبّل مقولة
القول^(٧٨).

ثانيا : ظاهرة الجناس :

الجناس : هو ان يتفق اللفظان في وجه من
الوجوه مع اختلاف معانيهما ^(٧٩) في النطق
.ويذهب عبد القاهر الى ان التجنيس ممّا يتعدّى
فيه الحسن والقبح اللفظ والجرس الى ما ينجى
فيه العقل والنفس ^(٨٠)، وقد جاء في " كنز البراعة
" : وفائدته الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة
الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ
المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به
آخر كان للنفس تشوق إليه ^(٨١). والجناس ينقسم
عادة الى جناس تام وغير تام .

ومن أنواع الجناس التي وظّفها الامام (سلام
الله عليه) ما يعرف بالجناس الاشتقاقي الذي
يهدف الى تحقيق نوع من التوازن الصوتي، و
لملاءمة السياق والمقام . حيث استعملت هذه
الآلية البديعية من قبل البلغاء لما فيها من جمع
بين كلمتين متماثلتين أو متشابهتين من حيث
اللفظ ، مختلفتين من حيث المعنى، مما يحدث
من الناحية الصوتية تكرارا منتظما للأصوات،
موافقاً لتوقعات المتلقي، وفي الوقت نفسه متضمناً
لمعانٍ جديدة ، مما يفسح مجالا رحبا للتأمل.

ومن الجناس الاشتقاقي الذي ورد في قول الامام
(عليه السلام) :

" ذكرتهم فما اذكروا ووعظتهم فما اتعظوا وخوفتهم
الله فما تخوفوا " (٨٢)

لقد جانس الامام بين قوله (ذكرتهم و اذكروا)
وقوله (وعظتهم واتعظوا) وقوله (خوفتهم و
تخوفوا) فقد جانس بين (ذكرتهم واذكروا ووعظتهم
واتعظوا وخوفتهم وتخوفوا) وهذا النوع من الجناس
هو الجناس الاشتقاقي وهو جزء من التكرار
اللفظي تشترك فيه الكلمات في الاصل الذي
اشتقت منه .

ويرى بعض الدارسين ان الجناس ليس حلية
تقصد لذاتها لإطراب النفوس بأنغامها، بقدر ما
هو تشكيل إيقاعي خالق للمعنى ولمعنى المعنى،
فهو مع نغماته التي تستروح لها النفوس يوحى
بدقة من المعاني لا يمكن أن تصلنا لولاه، وبذلك
يكون الجناس ولا سيما الاشتقاقي خالقاً احد
قوانين الشعرية^(٨٣).

ثالثا : فن المقابلة :

وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم اضدادها على
الترتيب ^(٨٤) أسلوب في التعبير يقوم على مبدأ
إقامة تضادّ بين الألفاظ والمعاني والأفكار
والصور تحقيقاً لغايات بلاغية وقيم فكرية . وهي
تعدّ من الأساليب البارزة التي يجيء الاعتماد
عليها عن قصد ، وفي مواضع كثيرة من القرآن
العظيم ، كما أنّ الأدب العربي بشعره ونثره قد
تميّز بها ، وبخاصّة الشعر الجاهلي . ومع أنّ
المقابلة في مذهب أغلب القدماء محسنّ بديعيّ ،
غير أنّ المتأمل في دلالاتها واستعمالاتها عند
الامام الهادي (عليه السلام) يرى أنّ لها أغراضاً
أبعد من ذلك ، فهي فنّ بلاغيّ ، وطريقة في
أداء المعنى لها آثارها وقيمتها البعيدة ، كما أنّها
تسهم في إبراز كثير من المعاني بما فيها من
ثنائية وتضادّ .

ومنه قوله (عليه السلام) :

" اللهم اكفف العذاب عن المستجيرين واصببه
على المغترّين " ^(٨٥).

لقد قابل الامام بين كلمة (اكفف واصبب) في

ومنه قول الامام (عليه السلام) :

"وانتم نور الاخيار، وهداة الأبرار ... بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء ان تقع على الارض إلا بإذنه " (٨٨).

نلاحظ الطباق بين الفتح والختم والنزول والامساك، ولاشك في ان للطباق أثرا في المعنى والأسلوب. فالمعنى يزداد قوة ووضوحا إذ تعرض المتضادات في نسق يثير الانتباه إلى الفكرة فتزداد وضوحا وقوة في العقل، ويشد تقبل النفس لها ورسوخها فيه.

ومنه ايضا قوله (عليه السلام) :

"علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه ، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره " (٨٩)

فالطباق هنا تتركز في قوله (نبديه) و (نخفيه) وكذلك في قوله (نبطنه ونظهره)، لقد جمع الامام بين معاني مختلفة فضلا عن الانسجام الصوتي الحاصل من مراعاة نهاية كل جملة وهي تحمل نسقا واحدا .

وكذلك قوله (عليه السلام) :

مقابلة جميلة بين المستجبرين بطلب الرحمة والرضوان من الخالق مقابل المغترين الذين غرتهم الدنيا والتهتهم عن ذكر الله ، ويلاحظ القاريء الرقة في استعمال كلمة اكف والطلب بطريقة مهذبة مقابل استعمال كلمة اصيب في الامر المجازي الذي يقصد منه الدعاء لان هذه الكلمة تحمل معنى الاستعجال في صب العذاب دون شفقة على المغترين، اذا المقابلة موجودة حتى على المستوى المعنوي من جهة وطئة المفردة أو خفّتها.

رابعا : الطباق :

عرّفه القزويني على أنه الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد: اسمين كقوله تعالى: " وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود " أو فعلين، كقوله تعالى " تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء " وقول النبي (عليه السلام) للأنصار " إنكم لتكثرلون عند الفزع وتقلون عند الطمع " (٨٦) وقال ابن ابي الاصبع: إن الطباق لا يكون الا في ضدّين فقط والمقابلة لا تكون الا بما زاد على الضدين (٨٧).

معرضون) " (٩٤).

لقد حرص الامام (عليه السلام) في اغلب ادعيته على تذكير الناس ووعظهم من خلال توظيف الآيات القرآنية الشريفة ادراكا منه لمنزلة القرآن فهو الكتاب الاول في الوعظ والارشاد وفي قيادة المجتمع نحو طريق البر والامان لهذا كان توظيفه للنصوص القرآنية يعطي دافعا قويا لتأثير هذه النصوص ولا تخرج مواظمه الشريفة عما جاء به القرآن الكريم، إلا أن اللغة الفنية التي يحق لنا أن نسميها اللغة الجمالية تظل مختلفة عن اللغة المألوفة وذلك باشتغالها على قوى بئها فيها مبدعها عن دراية وعمد إلى جانب قوة الكلام الصحيح، وهذه القوى لا تستخدم في الكلام الصحيح، وقد يرجع تأثير تلك القوى إلى العدول والانزياح الذي يعتمد إليه المبدع في صياغته الأدبية عن تلك الصياغة الأساس أو القاعدة الأولى التي تمثل الأصل، وعلى هذا يقاس الإبداع على مقدار التحول أو المسافة التي يقطعها الكلام من الأصل إلى الإنجاز (٩٥)

ومنه قوله (عليه السلام) في خطابه للإمام

" اللهم لك الحمد في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعافية والبلاء ، والسنين والدهور " (٩٠).

فالتطبيق هنا يعمل على إبراز المعنى وتقويته وإيضاحه وإثارة الانتباه عن طريق ذكر الشيء وضده في قوله الشريف (السراء والضراء والشدة والرخاء والعافية والبلاء).

خامسا : اسلوب الاقتباس والتضمين :

الاقتباس هو أن يُضمن الكلام نثرا او شعرا شيئا من القرآن الكريم او الحديث الشريف لا على ان المقتبس جزءٌ منهما (٩١) أما التضمين فهو ان يُضمّن الشاعر شعره شيئا من مشهور شعر الغير (٩٢) وعرفه أحمد مطلوب بأنه "استعارتك الانصاف والابيات من غيرك او ادخالك إياه في ابيات القصيدة (٩٣) .

ومنه قوله (عليه السلام) :

" يا أنس كل مستوحش وإله العالمين (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم

علي (عليه السلام):

" أنت مطعم الطعام على حبه مسكينا ويتميا
واسيرا لوجه الله لا تريد منهم جزاء ولا شكورا
وفيك انزل الله تعالى: " ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون "(٩٦).

نلاحظ هنا كيف زاج الامام بين العبارات
المشحونة بالدلالة القرآنية وبين اقتباسه للنص
القرآني بطريقة لا تشعر معها إلا بانسجام تام
فالامام هنا وظف هذه المفردات القرآنية (مسكينا
ويتميا وأسيرا) لأنها تثير في ذهن المتلقي الحديث
عن منزلة الامام علي (عليه السلام) والمرتبة
التي شرفه بها الله اذ انزل بحقه هذه الآية
المباركة .

الخاتمة :

لقد توصل الباحث الى ما يأتي :

١- إن واحداً من الغايات التي نشأ عنها تشريع
التوسل بالأنبياء والأولياء هو توثيق علاقة الحب
والولاء بين الناس وبينهم، وهذا ما حاول البحث
أن يبينه من خلال منزلة الدعاء عند أهل البيت

(عليهم السلام) فإذا ما توثقت أواصر الحب
والولاء وشعر الناس بالانجذاب الروحي لأولياء
الله الصالحين كان ذلك باعثاً للإقتداء بهم والعمل
بهديهم، وبذلك يكون التوسل والدعاء واحداً من
طرق الهداية التي أرادها الله عز وجل لخلقهم.

٢- اتضح من الدراسة ان الامام الهادي (عليه
السلام) قد التزم بالوضوح المشرق لأنه (عليه
السلام) يريد أن يفهم الناس عنه جميعاً، فأنت لا
تشعر بلفظ غريب ولا بمعنى مبهم ، فقد اظهر
البحث ان الامام الهادي (عليه السلام) لا يستعين
بحديثه بوسائل التزييق التي لا تخدم المعنى ،
وقد خلت الفاظه من الاغراب والتعقيد والاستكراه
وهي مع ذلك الفاظ جزلة لها بهاء خاص ترتاح
لها الصدور من هنا اصبحت ادعية الامام مثلاً
أعلى في البلاغة.

٣- لاحظ الباحث اهتمام الامام الهادي بالأساليب
البلاغية الخاصة بعلم المعاني والبيان وذلك
لمعرفته بتأثير هذه الأساليب في نصوص الادعية
الشريفة كونها تظفي مسحة جمالية تزيد من تأثير
الدعاء في نفوس المتلقين له.

٤- تبين من البحث أن الامام الهادي (عليه السلام)
لم يغفل في دعائه الشريف الجوانب الجمالية

للألفاظ والتراكيب فحفل دعاؤه - (عليه السلام)-
بأنواع من البديع كالطباق والجناس والسجع
وغيرها جاءت خادمة للمعنى مؤكدة له مزيّنة
للأسلوب معين على فهمه وحفظه.

٥- لاحظ البحث أن السمة الدلالية لأدعية الإمام
الهادي (عليه السلام) اقتباسه من أي التنزيل
العزیز، وهذا يدل على تأثره بأسلوب القرآن
الكريم حتى تكاد تكون اقتباساته القرآنية
نصية أي مباشرة وملتحمة مع النص.

١. سورة الزمر : الآية ٤٩
٢. ينظر آداب الدعاء عند المعصومين (عليهم السلام) ، مركز ال البيت العالمي للمعلومات :٢. سورة غافر ، الآية :٦٠
٣. الدعاء مدرسة التربية ، كريم الموسوي ، مقال منشور في صحيفة الهدى .
٤. الكافي، الكليني، -ج ٢، ص ٤٧٣.
٥. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٩٠، ص ٣١٣.
٦. الكافي، الكليني، -ج ٢، ص ٤٨٢.
٧. وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٧، ص ٧٤
٨. شأن الدعاء ، أبو سليمان الخطابي، تح: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط. ١٩٩٢، ٣، ص ٣
٩. الخطاب الدعائي والشرعية التجنيسية الجماليات بوصفها خطاباً أدبياً عبد الفضيل ادراوي.
١٠. ينظر: لسان العرب : ٥/ ١١، و ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، الشوكاني ، دار السلام ، ١٩٩٨م : ١٥٧.
١١. معجم مصطلحات البلاغة : ١٣٥.
١٢. مصباح الكفعمي : ٧٨ ، وينظر صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٢٧.
١٣. بحار الانوار ٦٠/ ٢٣٤.
١٤. ينظر : لسان العرب مادة (نشأ) .
١٥. مفتاح العلوم : ٤١٤.
١٦. ينظر : مهج الدعوات : ٨٢، والبلد الأمين : ٦٥٧، وصحيفة الهادي (عليه السلام) : ٥٢.
١٧. ينظر لسان العرب مادة ، جور ، غرر ، قصم .
١٨. التوبة اية : ٦
١٩. ينظر تهذيب البلاغة : ٦٧.
٢٠. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٦١.
٢١. ينظر الايضاح في علوم البلاغة : ١١٢
٢٢. مصباح المتعجد : ٢٤٣ ، وصحيفة الهادي (عليه السلام) : ٨٨.
٢٣. ينظر لسان العرب مادة (قدم) ، و(اخر) .

٢٤. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٧٦.
٢٥. البرهان في علوم القرآن ٣: ٢٢٣.
٢٦. ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي . صالح الشاعر : ١٢.
٢٧. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٥٢
٢٨. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٥٣.
٢٩. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٥٣.
٣٠. ينظر الإيضاح ٥٦/٢.
٣١. ينظر البيان والتبيين : ٨٨/١ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه : ١٢٤/٢ ط دار الكتب العلمية.
٣٢. المصدر نفسه ٥٥/٢. وينظر تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٥، ص ٥٧٣ ولسان العرب مادة (فصل).
٣٣. ينظر علم المعاني لعبد العزيز عتيق : ١٦٠ وينظر : لسان العرب مادة (وصل) : ٥٢٦/١١.
٣٤. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢٥.
٣٥. ينظر : بلاغة اسلوب الفصل والوصل في القرآن الكريم : الدكتور مسرت جمال : مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، جمادى الثانية ١٤٣١ هـ = مايو - يونيو ٢٠١٠ م ، العدد : ٦ ، السنة : ٣٤.
٣٦. ينظر لسان العرب ، مادة (قصر) .
٣٧. ينظر الاتقان للسيوطي : ١٣٥/٣ - ١٤٠.
٣٨. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٦٦.
٣٩. ينظر لسان العرب ، مادة (وجز)
٤٠. ينظر الطراز للعلوي : ٢٤٥.
٤١. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٣٩٤.
٤٢. المصدر نفسه : ٣٩٤.
٤٣. الإ بلاغية في البلاغة العربية، سمير أبو حمدان: ١٢٦.
٤٤. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٣٩٤.
٤٥. المصدر نفسه : ٣٨٢

٤٦. المصدر نفسه: ٣٩٢.
٤٧. المصدر نفسه: ٣٩٢.
٤٨. جماليات الصورة: ٣١٤.
٤٩. ينظر : لسان العرب مادة (عور) الجزء العاشر: ١٢٣.
٥٠. اسرار البلاغة: ٢٢.
٥١. اسرار البلاغة: ٣٥٤.
٥٢. اسرار البلاغة: ٣٤.
٥٣. نهاية الايجاز: ١٣٣.
٥٤. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٦٣
٥٥. الآية ٢٨ من سورة الرعد .
٥٦. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢٠٠.
٥٧. ينظر : لسان العرب ، مادة (دجا).
٥٨. المصدر نفسه : ١٢٢
٥٩. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٩٨.
٦٠. ينظر لسان العرب مادة (جوز) .
٦١. اسرار البلاغة : ٣٠٤ ، ٣٤٢ ، ٣٥٥ .
٦٢. نهاية الايجاز : ٩٢ .
٦٣. مفتاح العلوم : ١٨٩ .
٦٤. الطراز : ٣٢ . وينظر علم البيان : ١٧٤ .
٦٥. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٩٨.
٦٦. اسرار البلاغة : ٣١٠ .
٦٧. ينظر : الكشف : ١٤٣/٤ .
٦٨. الآية ٥٦ من سورة هود .
٦٩. ينظر : الكشف ٢/٢٠٤ .

٧٠. جمهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
٧١. اساس البلاغة ، الزمخشري :٢٨٦.
٧٢. ينظر فن البلاغة العربية-: علم البديع.. د/ عبدالعزيز عتيق- دار النهضة العربية- بيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م.
٧٣. مفتاح العلوم :٧٦.
٧٤. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢٢
٧٥. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢٢
٧٦. الأثر القرآني في نهج البلاغة:٢٦٥.
٧٧. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢٥.
٧٨. ينظر :المستويات الشعرية في كلام الامامين الباقر والصادق عليهما السلام : ٤٢.
٧٩. ينظر الطراز : ٣٧٢ .
٨٠. ينظر : اسرار البلاغة : ٤ .
٨١. ينظر : كنز البراعة : ٢٦٥. والاتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٧٠ .
٨٢. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٥٣.
٨٣. ينظر المستويات الشعرية في كلام الامامين الباقر والصادق عليهما السلام : ٣٦.
٨٤. ينظر : معتزك الاقران : ٣١٥ .
٨٥. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٥٣.
٨٦. الايضاح في علوم البلاغة : ٣٢٤.
٨٧. ينظر : انوار الربيع : ١/ ٢٣١.
٨٨. صحيفة الهادي (عليه السلام) : ٢١٤.
٨٩. المصدر نفسه: ٦٩.
٩٠. المصدر نفسه: ٧٨.
٩١. ينظر : انوار الربيع : ٢/ ٢١٧. ومعجم المصطلحات العربية : ٥٦ .
٩٢. ينظر : البديع في نقد الشعر : ٣٥٠ ، والايضاح : ٤١٩ .

٩٣. ينظر : معجم مصطلحات البلاغة العربية : ٢٦٢ . والتوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الروؤف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٠ هـ ، ج ٢ / ٨١ .
- ٩٤ . صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٠٢ ، والاية ٤١ من سورة الانبياء .
- ٩٥ . ينظر المستويات الشعرية في كلام الامامين الباقر والصادق : ١٠٤ .
- ٩٦ . صحيفة الهادي (عليه السلام) : ١٨٢
- المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

- ١ . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان ، مطبعة منشورات عويدات ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠٣ م .
- ٢ . الإتيقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الاولى : ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٣ . الأثر القرآني في نهج البلاغة ، تأليف عباس علي حسين الفحّام ، مطبعة دار الرافدين ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ . ٢٠١٠ م .
- ٤ . اسرار البلاغة ؛ عبد القاهر الجرجاني ؛ المحقق : محمود شاکر أبو فهر ؛ الناشر : مكتبة الخانجي ؛ سنة النشر : ١٩٩١ .
- ٥ . ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول ، الشوكاني ، دار السلام ، ١٩٩٨ م .
- ٦ . الايضاح في علوم البلاغة ، للإمام الخطيب القزويني (٧٣٩ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٥ ، ١٩٨٠ م .
- ٧ . بحار الانوار ، محمد باقر المجلسي ، دار الطباعة ، سنة ١٢٩٧ هـ .
- ٨ . بلاغة اسلوب الفصل والوصل في القرآن الكريم : الدكتورة مسرت جمال : مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، جمادى الثانية ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، العدد : ٦ ، السنة : ٣٤ .

٩. تهذيب البلاغة ، مجموعة مؤلفين ، المجمع العلمي الاسلامي ، طهران .
١٠. التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الروؤف المناوي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٠ هـ.
١١. جمهرة اللغة ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م.
١٢. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط مكتبة الخانجي ، القاهرة . مصر ، ط ٥ ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م.
١٣. شأن الدعاء ، أبو سليمان الخطابي تح: أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، ط. ٣ ، ١٩٩٢ م.
١٤. صحيفة الامام الهادي (عليه السلام) ، جواد قيومي اصفهاني ، قم ، ١٣٨١ .
١٥. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) تحقيق : جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م
١٦. فن البلاغة العربية (علم البديع) الدكتور عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٧. الكافي ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٨ هـ) ، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري . دار الكتب الإسلامية . طهران ، ط ٤ ، ١٣٧٥ هـ.
١٨. كنز البراعة ، نجم الدين احمد بن اسماعيل الحلبي ، تحقيق محمد السيد عثمان ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى .
١٩. لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، تحقيق : امين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٣ ، (د.ت).

٢٠. المستويات الشعرية في كلام الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، عبدالله خليل ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة الكوفة ، ٢٠١٢م.
٢١. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلّي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٩٩٩م.
٢٢. مصباح الزائر، ابن طاووس، مطبعة مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم . إيران، ط١، ١٤١٧ هـ.
٢٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨م
٢٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
٢٥. مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، ط دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م.
٢٦. الوافي بالوفيات، الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م.
٢٧. وسائل الشيعة، للحر العاملي، ط مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم . إيران، ط٢، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م.



